كتاب الاستغفار

اعلم أن هـذا الكتـاب من أهمّ الأبـواب التي يُعْتَنَى بهـا، ويُحَـافَظ على العمـل به. وقصـدت بتأخيـره التفاؤل بـأن يختم الله الكريم لنـا به، نسأله ذلكَ وسائر وجوه الخير لي ولأحبائي وسائر المسلمين، آمين.

قـال الله تعالى: ﴿واسْتَغْفِـرْ لِـذَنْبِـكَ وَسَبِّـحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ بـالعَشِيِّ والإبْكَـارِ﴾ [غـافـر: ٥٥] وقـال تعـالى: ﴿وَاسْتَغْفِـرْ لِـذَنْبِـكَ وِلِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَـاتِ﴾[1] [محمد: ١٩] وقـال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِـر الله إنَّ الله كـانَ غَفُـوراً رَحِيماً﴾ [النسـاء: ١٠٦] وقال تعـالى: ﴿لِلَّذينَ اتَّقَـوْا عِنْـدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خـالِدِينَ فيهـا وأزْواجٌ مُطَهَّـرَةٌ ورِضْوانٌ مِنَ اللهِ واللهُ بَصِيرٌ بالعِبَادِ. الَّذِينَ يَقُـولُونَ رَبَّنَـا إنَّنَا آمَنَّـا فاغْفِـرْ لَنَا ذُنُـوبَنا وقِنـا عـذَابَ النَّار. الصَّـابِـرِينَ والصَّـادِقِينَ والقـانِتِينَ والمُنْفِقِينَ والمُسْتَغْفِـرِينَ بالأسحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧]، وقال تعالى: ﴿ومَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ومَا كانَ اللهُ مُعَـذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾ [الأنفـال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿والَّذينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُـوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فـاسْتَغْفَرُوا

---

(١) قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿واسْتغفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: هذا الأمر للتشريع والاستنان: أي إذا طُلب منك الاستغفار مع عصمتك من كل ذنبٍ، فمن باقي أهل الإيمان المتلبسين بشيءٍ من العصيان أولى.

لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ ولَمْ يُصِرُّوا على مافَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ الآية [هود: ٣]، وقال تعالى إخباراً عن نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ربَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً﴾ [نوح: ١٠]، وقال تعالى حكاية عن هود ﷺ: ﴿ويَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[1] الآية [هود: ٥٢]، والآيات في الاستغفار كثيرة معروفة، ويحصل التنبيه ببعض ما ذكرناه.

وأما الأحاديث الواردة في الاستغفار فلا يمكن استقصاؤها، لكني أشير إلى أطراف من ذلك.

١١٨٤ ـ وروينا في «صحيح» مسلم [٢٧٠٢] عن الأغرِّ المزنيّ الصحابيّ رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّه لَيُغَانُ على قَلْبِي، وإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[2].

١١٨٥ ـ وروينا في «صحيح» البخاري [٦٣٠٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «واللهُ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ في اليَوْمِ أكثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».

١١٨٦ ـ وروينا في «صحيح» البخاري [٦٣٠٦] أيضاً، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ

---

(١) في الآيات حث على الاستغفار وإشارة إلى وقوع المغفرة لمن استغفر. قال الشاعر:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه ... من جود كفيك ما علمتني الطلبا

(٢) ليغانُ: الغين مثلُ الغيم؛ والمقصود ما يغشى القلب ويغطيه.

أراد رسول الله ﷺ ما ينوبه أحياناً من السهو عن الذكر، الذي قد لا يخلو منه البشر بسبب انشغاله بمصالح الأمة، وأنه لصفاء قلبه، وحضوره مع ربه عَدَّ ذلك أمراً ينبغي الاستغفار منه.

يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لك بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لي، فإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ؛ مَنْ قَالَها بالنَّهارِ مُوقِناً بها فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قَالَها مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِها فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

قلت: أبوء بضم الباء وبعد الواو همزة ممدودة، ومعناه: أقرّ وأعترف [وتقدم برقم ٢١١].

١١٨٧ ـ وروينا في «سنن» أبي داود [١٥١٦] والترمذي [٣٤٣٤]، وابن ماجه [٣٨١٤] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: كنّا نعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة: «ربِّ اغْفِرْ لِي، وتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

١١٨٨ ـ وروينا في «سنن» أبي داود [١٥١٨]، وابن ماجه [٣٨١٩] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، ومِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ورَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»(١).

١١٨٩ ـ وروينا في «صحيح» مسلم [٣٧٤٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، ولَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

١١٩٠ ـ وروينا في «سنن» أبي داود [١٥٢٤] عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً،

---

(١) في إسناده الحكم بن مصعب قال الذهبي: فيه جهالة.

ويستغفرَ ثلاثاً. وقد تقدم هذا الحديث قريباً [برقم ١١٧٤] في كتاب جامع الدعوات[١].

١١٩١ ـ وروينا في «كتابي» أبي داود [١٥١٤]، والترمذي [٣٥٥٩] عن مولى لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» قال الترمذي: ليس إسناده بالقويّ[٢].

١١٩٢ ـ وروينا في «كتاب» الترمذي [٣٥٤٠] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «قالَ الله تعالَى: يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ما كانَ مِنْكَ ولا أُبَالِي، يا ابنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطَايَا، ثُمَّ أَتَيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً» قال الترمذي: حديث حسن.

قلت: عَنان السماء بفتح العين: وهو السحاب، واحدتها عنانة، وقيل العنان: ما عنّ لك منها، أي ما اعترض وظهر لك إذا رفعت رأسك. وأما قراب الأرض فروي بضم القاف وكسرها، والضم هو المشهور، ومعناه: ما يقارب مِلأها، وممن حَكَى كسرها صاحبُ «المطالع».

١١٩٣ ـ وروينا في «سنن»ابن ماجه [٣٨١٨] ـ بإسناد جيِّد ـ عن عبد الله بن بُسْر ـ بضم الباء وبالسين المهملة ـ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ في صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيراً»[٣].

---

(١) وإسناده حسن.

(٢) مولى أبي بكر فيه جهالة.

ما أصر: أي ما ثبت ولا لازم لأن الاستغفار يعني الإقلاع عن الذنب والتوبة منه.

(٣) طوبى: الحسنى والخير، وكل مستطاب في الجنة، وقيل: شجرة في الجنة.

١١٩٤ ـ وروينا في «سنن» أبي داود [١٥١٧]، والترمذي [٣٥٧٧] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذي لا إلـهَ إلاَّ هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ، وأتُوبُ إلَيْهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وإنْ كانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[1]. وقال الحاكم [١/٥١١]: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ومسلم.

قلت: وهذا الباب واسع جداً، واختصاره أقرب إلى ضبطه، فنقتصر على هذا القدر منه.

فصل [في حكم استغفر الله]

ومما يتعلق بالاستغفار ما جاء عن الربيع بن خُثَيم رضي الله تعالى عنه قال: لا يقل أحدكم: استغفرُ الله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذباً إن لم يفعل، بل يقول: اللهم اغفر لي وتُبْ عليَّ.

وهذا الذي قاله من قوله: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ حسنٌ. وأما كراهته استغفرُ الله، وتسميتهُ كذباً فلا نوافق عليه، لأن معنى استغفرُ الله: أطلب مغفرته، وليس في هذا كذب، ويكفي في ردّه حديث ابن مسعود المذكور قبله [برقم ١١٩٤].

وعن الفضيل رضي الله تعالى عنه: استغفار بلا إقلاع توبةُ الكذّابين، ويقاربه ما جاء:

عن رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها قالت: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

وعن بعض الأعراب أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللَّهمَّ إن

---

(١) هذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي عن بلال بن يسار بن زيد عن أبيه عن جده زيد، وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود.

استغفاري مع إصراري لؤمٌ، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسَعَة عفوك لعجزٌ، فكم تتحبب إليَّ بالنعمِ مع غناك عنّي، وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعَد وفى، وإذا توعّد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جُرمي في عظيم عفوك يا أرحمَ الراحمينَ.

باب النهي عن صمت يوم إلى الليل

١١٩٥ ـ روينا في «سنن» أبي داود [٢٨٧٣] ـ بإسناد حسن ـ عن عليّ رضي الله عنه قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يُتْمَ بَعْدَ احتلام، ولا صُماتَ يَوْمٍ إلى اللَّيْلِ»[1].

وروينا في «معالم السنن» [٣/ ٢٩٤] للإمام أبي سليمان الخطابي رضي الله عنه، قال في تفسير هذا الحديث: كان أهل الجاهلية من نُسُكهم الصُماتُ، وكان أحدُهم يعتكفُ اليوم والليلة فيصمت ولا ينطق، فَنُهُوا ـ يعني في الإسلام ـ عن ذلك، وأمروا بالذكر والحديث بالخير.

١١٩٦ ـ وروينا في «صحيح» البخاري [٣٨٣٤] عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة من أحمس، يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم: فقالوا: حَجَّتْ مُصْمِتةً، فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحلّ، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت.

* * *

(١) إسناده ضعيف فقد أعله غير واحد من العلماء، لكن له شواهد عن جابر وأنس وغيرهما يقوى بها، ولهذا حسنه النواوي.
والصمات: الصمت والسكوت طويلاً، ولا يلزم النذر به ولا يعتّد بذلك شرعاً.

فصل [أحاديث عليها مدار الإسلام]

فهذا آخر ما قصدتُه من هذا الكتاب، وقد رأيت أن أضمَّ إليه أحاديث تتمُّ محاسنُ الكتاب بها إن شاء الله تعالى، وهي الأحاديث التي عليها مدار الإسلام[1]، وقد اختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً منتشراً، وقد اجتمع من تداخل أقوالهم مع ما ضممته إليها ثلاثون حديثاً.

١١٩٧ ـ **الحديث الأول**: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنَّمَا الأعمال بالنِّيَّاتِ» [أخرجه البخاري (١)، وملسم (١٩٠٧)] وقد سبق بيانه في أول هذا الكتاب [رقم ٢].

١١٩٨ ـ **الحديث الثاني**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ في أمرِنَا هَذَا ما لَيْسَ مِنْهُ رَدٌّ»[2] رويناه في «صحيحي» البخاري [٢٦٩٧]، ومسلم [١٧١٨].

١١٩٩ ـ **الثالث**: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُما

---

(١) مَدَار: اسم مكان من الدوران، وهي لغة الحركة في السكك، واصطلاحاً: ترتب الشيء على الشيء الذي له صلاحية العلية وجوداً، أو عدماً، أو معاً.

(٢) أحدث: أوجد من قبل نفسه. أمرنا: ديننا الذي نحن عليه. ما ليس منه: أي مما ينافيه، ولا يشهد له شيء من قواعد الشرع وأدلته العامة. ردٌّ: مردود غير مقبول لبطلانه، وعدم الاعتداد به.

أمـور مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيـرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهـاتِ اسْتَبْـرأ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَـعَ في الحَرَامِ ، كـالرَّاعِي يَـرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً ، ألا وإنَّ حِمَى الله تعـالى مَحَارِمُـهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَـةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَـدَتْ فَسَـدَ الجَسَـدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ القَلْبُ»[1] رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)].

١٢٠٠ ـ **الرابع**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قـال: حـدثنـا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُـهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمـاً نُطْفَـةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَـةً مِثْلَ ذلِـكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَـةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَـلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيـهِ الرُّوحَ، ويُؤْمَـرُ بأرْبَـعِ كَلِماتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِـهِ وأجَلِهِ وعَمَلِهِ وشَقِيٍّ أوْ سَعِيـدٍ، فـوَالَّـذِي لا إلـهَ غَيْـرُهُ، إنَّ أحَـدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْـلِ الجَنَّةِ حَتَّى مـا يَكُونُ بَيْنَـهُ وبَيْنَها إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْـهِ الكِتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها، وإنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهلِ الجَنَّةِ فَيَـدْخُلُها»[2] رويناه في «صحيحيهما» [البخـاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)].

---

(١) بيِّن: واضح، وهو ما نصَّ الله تعالى أو رسوله أو أجمع المسلمون على حِلِّه، والحرام البين ما نصَّ الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على حرمته. مشتبهات: جمع مشتبه وهو ما ليس واضح الحل ولا الحرمة مما تنازعته الأدلة وتجاذبته المعاني والأسباب فبعضها يعضده دليل الحرمة، وبعضها يعضده دليل الحل. اتقى الشبهات: تركها. استبرأ لدينه: طلب البراءة له من الذم الشرعي. الحمى: الموضع المحمي، الذي يحجره لماشية ونحوها، وهذا منه ﷺ ضرب مثل للتنفير عن الشبهات حذراً من الوقوع في محارم الله تعالى.

(٢) يجمع خلقه: يضم وتحفظ مادة خلقه، وهو الماء الذي يخلق منه. بطن أمه: رحمها. نطفة: النطفة في الأصل الماء القليل، سمي به المنيُّ لأنه ينطف نطفاً أي يسيل سيلاً. =

١٢٠١ ـ **الخامس**: عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما قال: حَفِظت من رسول الله ﷺ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ»[1] رويناه في الترمذي [٢٥١٨] والنسائي [٥٧١١] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قوله: يَريبك بفتح الياء وضمها لغتان، والفتح أشهر.

١٢٠٢ ـ **السادس**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ» رويناه في «كتاب» الترمذي [٢٣١٧] وابن ماجه [٣٩٧٦] وهو حسن.

١٢٠٣ ـ **السابع**: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)].

١٢٠٤ ـ **الثامن**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وإنَّ الله تعالى أمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فقالَ تعالى: ﴿يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صَالِحاً إنِّي بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:

= علقة: قطعة دم لم تيبس. مضغة: قطعة لحم بقدر ما يمضغ. يرسل الملك: يكلف الملك الموكل بالرحم. فيسبق عليه الكتاب: فيسبق عليه العلم الإلهي، يعمل بعمل أهل الجنة: أي فيما يبدو للناس كما جاء مصرحاً به في رواية، أو أن بعضهم ينقلب من خير إلى شر، أو من شر إلى خير. وهذا الحديث فيه بيان لعلم الله السابق في شؤون خلقه، وليس دليلاً على إكراههم على إيمان أو كفر، لأن ذلك ينافي التكليف، ويبطل حكمة إرسال الرسل وإنزال الكتب.

(١) دع ما يريبك: أترك ما تشك في حلِّه. وهذا الحديث أصل في بيان قيمة الورع الذي عليه مدار المتقين.

١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ: يا رَبِّ يا ربّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بالحَرَامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟» رويناه في «صحيح» مسلم [١٠١٥][(١)].

١٢٠٥ ـ **التاسع**: حديث: «لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ» رويناه في «الموطأ» [٢/ ٧٤٥] مرسلاً، وفي «سنن» الدارقطني [٤/ ٢٢٧] وغيره من طرق متصلاً، وهو حسن[(٢)].

١٢٠٦ ـ **العاشر**: عن تميم الداري رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قلنا: لمن؟ قال: «لله وَلِكِتابِهِ ولِرَسُولِهِ ولأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِم»[(٣)] رويناه في «صحيح» مسلم [٥٥].

---

(١) أوله في مسلم: «يا أيها الناس إن...» قال القاضي عياض: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث. وقوله: «ثم ذكر الرجل» هذه الجملة من كلام الراوي، والضمير فيه للنبي ﷺ. أشعث: متلبد الشعر مغبره.

(٢) قال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه عن عائشة، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة ـ ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجوا به. الضرر والضرار بمعنى واحد، وهو خلاف النفع جمع بينهما للتوكيد، وقيل الضرر: إلحاق مفسدة بالغير مطلقاً. والضرار: إلحاقها به على وجه المقابلة، أي كل منهما يقصد ضرر صاحبه.

(٣) النصيحة: قول فيه دعوة إلى صلاح، ونهي عن فساد. وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة: معناها حيازة الحظ للمنصوح له. ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، وهذا كقوله ﷺ: «الحج عرفة» أي عماده ومعظمه عرفة.
فالنصيحة لله: الإيمان به ونفي الشريك عنه، والنصح لكتابه: الإيمان بأنه كلام الله وتنزيله والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه. والنصيحة لرسول الله: تصديقه والإيمان بجميع ما جاء به. والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، =

١٢٠٧ ـ **الحادي عشر**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فاجْتَنِبُوهُ، ومَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسائِلِهِمْ واخْتِلافُهُمْ على أَنْبِيائِهِمْ»[1] رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)].

١٢٠٨ ـ **الثاني عشر**: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله دُلني على عمل إذا عملتُه أَحَبَّني الله وأَحَبَّني الناس؟ فقال: «ازْهَدْ في الدُّنْيا يُحِبَّكَ الله، وازْهَدْ فِيما عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»[2] حديث حسن رويناه في «كتاب» ابن ماجه [٤١٠٢].

١٢٠٩ ـ **الثالث عشر**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلَّا الله، وأَنِّي رَسُولُ اللهِ إلَّا بإِحْدَى ثلاثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، والنَّفْسِ بالنَّفْسِ، والتَّارِكِ لِدِينِهِ المُفارِقِ للجماعَةِ»[3]. رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)].

= وأمرهم به. ونصيحة عامة المسلمين: إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم.

(١) في الحديث دليل على تحريم الاختلاف لأنه سبب تفرق القلوب وضعف الدين. وكثرة المسائل من غير ضرورة لأنه مشعر غالباً بالتعنت ومفضٍ إليه، وهو حرام.

(٢) في سنده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق على ضعفه. لكن له شواهد فيتحسن بها. الزهد: الإعراض عن الشيء وتركه، والمراد هنا. قيل: ترك ما عدا الضروريات التي لا بدَّ منها في قوام البدن في المباحات، وقيل: ترك الحرام، وهو واجب. ويطلق أيضاً على ترك الشبهات، ويمكن أن يقال: إن الزهد عدم تعلق القلب بمتاع الدنيا، وترك الانهماك في شهواتها. وسبب محبة الله للزاهد أنه آثر رضاه على هواه، ومحبة الناس له: ترك مزاحمتهم على الدنيا.

(٣) الثيب: المحصن وهو المتزوج. التارك لدينه: المرتد.

١٢١٠ ـ **الرابع عشر**: عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكاةَ؛ فإذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأمْوالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الإسلامِ، وحِسابُهُمْ على الله تعالى»[1] رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)].

١٢١١ ـ **الخامس عشر**: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهادَةِ أن لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ»[2] رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (٨)، ومسلم (١٦)].

١٢١٢ ـ **السادس عشر**: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لادَّعَى رِجالٌ أمْوَالَ قَوْمٍ ودِماءَهُمْ، لَكِنِ البَيِّنَةُ على المُدَّعِي، واليَمِينُ على مَنْ أنْكَرَ»[3]. هو حسن بهذا اللفظ، وبعضه في «الصحيحين» [البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١)].

---

(١) عصموا: حفظوا ومنعوا. إلا بحق الإسلام: قيل: إلا أن يفعل فعلاً يعاقب عليه الإسلام بالقتل كالزنا بعد الإحصان، والكفر بعد الإيمان، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. حسابهم: أي حساب بواطنهم وسرائرهم إذ هو المطلع وحده على ما فيها.

(٢) بني الإسلام: البناء في الأصل موضوع للمحسوسات، فاستعماله في المعاني مجاز علاقته المشابهة. شبه الإسلام ببناء عظيم محكم، وأركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء.

(٣) أخرجه البيهقي ٢٥٢/١٠. البينة في اللغة: الحجة الواضحة، والمراد بها الشهود. والمدعي: هو من يذكر أمراً خفياً يخالف الظاهر، لذلك طولب بالحجة الظاهرة التي تقوي دعواه. والمدعي عليه: هو من يستمسك بالأصل والظاهر فكان جانبه قوياً، فكلف بالحجة الأضعف وهي اليمين. وهذا الحديث يشكل قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة ومرجعاً أصيلاً عند الخصومة.

١٢١٣ ـ **السابع عشر**: عن وابصةَ بن معبد رضي الله عنه، أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: «جِئْتَ تَسأَلُ عَنِ البرِّ والإثْمِ»؟ قال: نعم، فقال: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ: البِرُّ: ما اطْمأنَّتْ إلَيْهِ النَّفْسُ واطْمأنَّ إلَيْهِ القَلْبُ؛ والإثْمُ؛ ما حاكَ في النَّفْسِ وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإنْ أفْتاكَ النَّاسُ وأفْتَوْكَ»[1] حديث حسن رويناه في «مسندَيْ» أحمد [٤/٢٢٨] والدارمي [٢/٢٤٦] وغيرهما.

١٢١٤ ـ وفي «صحيح» مسلم [٢٥٥٣] عن النواس بن سمعانَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «البِرّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثْمُ ما حاكَ في نَفْسِكَ وكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

١٢١٥ ـ **الثامن عشر**: عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تَعالى كَتَبَ الإحسانَ على كُلِّ شيْءٍ، فإذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ولْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[2] رويناه في مسلم [١٩٥٥] والقِتْلَة والذِّبحة بكسر أولهما.

١٢١٦ ـ **التاسع عشر**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ

---

(١) البر: الخير. والإثم: الذنب. استفت قلبك: أي اطلب منه الفتوى. اطمأنت إليه النفس: سكنت وارتاحت. حاك في النفس: أثر فيها ولم يستقر. الخُلق: السجية والطبع والمروءة، والخلق الحسن قيل: هو طلاقة الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، وقيل: الإنصاف في المعاملة، والرفق في المجادلة، والعدل في الأحكام. هذا الحديث إنما يصدق على من صفا قلبه واستقامت سريرته، وملأت خشية الله جوانحه، وأما من تعكر صفوه، وفسد قلبه فأنى له أن يستفتيه.

(٢) كتب: أوجب. الإحسان: الإنعام، وإتقان الفعل، وإيقاعه على مقتضى الشرع.

لِيَصْمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1] رويناه في «صحيحيهما» [البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)].

١٢١٧ ـ **العشرون**: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تَغْضَبْ» فردَّدَ مِراراً، قال: «لا تَغْضَبْ»[2] رويناه في البخاري [٦١١٦].

١٢١٨ ـ **الحادي والعشرون**: عن أبي ثعلبة الخشنيِّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوها، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوها، وحَرَّمَ أشْياءَ فَلا تَنْتَهِكُوها، وَسَكَتَ عَنْ أشْياءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْها»[3] رويناه في «سنن» الدارقطني [٤/ ١٨٤] بإسناد حسن.

---

(١) يصمت: يسكت إلا عن خير. وإنما خصَّ اليوم الآخر بالذكر لأن الثواب والعقاب راجعان إلى الإيمان به.

(٢) الغضب: استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء. وفي قوله ﷺ: «لا تغضب» من بدائع الحكم، وفوائد استجلاب المصالح، ودرء المفاسد؛ ما لا يمكن عدّه، ولا ينتهي حدُّه.

(٣) فرض فرائض: أي أوجبها وحتَّم العمل بها. فلا تضيعوها: أي بتركها وعدم المحافظة عليها. حدَّ حدوداً: فصلَّها وبيَّنها. والحدّ لغة: المنع، والشيء الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، وحدود الله: أحكامه وأوامره ونواهيه.
لا تعتدوها: لا تتجاوزوها بالمخالفة. لا تنتهكوها: لا تقربوها. سكت عن أشياء: أي لم يحكم فيها بوجوب أو حلٍّ أو حرمةٍ. لا تبحثوا عنها: لا تسألوا عن حالها لأن السؤال عنها ربما أفضى إلى التكليف الشاق من الحرمة أو الإيجاب.
ويفهم من هذا أنه لا حكم قبل ورود الشرع، وأن الأصل ـ في الأشياء بعد ورود الشرع ـ الإباحة، ومعنى كون السكوت عنها رحمة لنا أنها لم تحرم فيعاقب على فعلها، ولم تجب فيعاقب على تركها، بل هي عفو لا حرج في فعلها ولا تركها.

١٢١٩ ـ **الثاني والعشرون**: عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «لَقَدْ سألْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وإنَّهُ لَيَسيرٌ على مَن يَسَّرَهُ الله تعالى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصُومُ رَمَضانَ، وتُحجُّ البَيْتَ، ثم قال: ألا أدُلُّكَ على أبْواب الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخطيئَةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وصَلاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَّيْلِ، ثم تلا: ﴿تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يعْمَلُونَ﴾» [السجدة: ١٦] ثم قال: «ألا أُخْبِرُكَ بِرأْسِ الأمرِ كلِّه وعمودِهِ وذِرْوَةِ سَنامِهِ»؟ قلت: بلى يا رَسُول الله، قال: «رَأْسُ الأمْرِ الإسلامُ، وعَمُودُه الصلاةُ، وذِرْوَةُ سنامِه الجهادُ»، ثم قال: «ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلك كُلِّه»؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، ثم قال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فقلتُ: يا نبيَّ الله، وإنَّا لمؤاخَذُون بما نتكلم به؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ، أوْ على مَناخِرِهِمْ إلَّا حَصَائِدُ ألْسِنَتِهِمْ؟»[1]. رويناه في الترمذي [٢٦١٦] وقال: حسن صحيح.

وذُروة السَّنام: أعلاه، وهي بكسر الذال وضمها. ومِلاك الأمر بكسر الميم: أي مقصوده.

١٢٢٠ ـ **الثالث والعشرون**: عن أبي ذرّ ومعاذ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقِ الله حَيْثُما كُنْتَ، وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[2] رويناه في الترمذي [١٩٨٧] وقال:

---

(١) جُنة: وقاية من النار والمعاصي. جوف الليل: وسطه. تتجافى جنوبهم عن المضاجع: ترتفع عنها، وهو كناية عن ترك النوم والقيام إلى الصلاة. ثكلتك أمك: فقدتك. وهذا كلام يجري على اللسان لا يراد به الدعاء.

(٢) اتق الله: خفه وأطعه. السيئة: ما نهي عنها. الحسنة: ما ندب الشارع إليه. تمحها: =

حسن، وفي بعض نسخه المعتمدة: حسن صحيح.

١٢٢١ ـ **الرابع والعشرون**: عن العِرْباض بن ساريةَ رضي الله عنه قال: وعَظَنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجِلَتْ منها القلوب، وذَرَفَتْ منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مـوَدِّع فأَوْصِنـا، قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله والسَّمْعِ والطَّاعَةِ وإنْ ـ تأَمَّرَ عَلَيْكُمْ ـ عَبْدٌ حبشي، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافـاً كثيـراً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفـاءِ الـرَّاشـدينَ المَهْدِيِّينَ، تمسَّكُوا بِهَا وعَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1] رويناه في «سنن» أبي داود [٤٦٠٧] والترمذي [٢٦٧٦] وقال: حديث حسن صحيح.

١٢٢٢ ـ **الخـامس والعشرون**: عن أبي مسعـود البـدريّ رضي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «إنَّ ممَّـا أدْرَكَ النَّـاسُ مِنْ كَـلامِ النُّبُـوَّةِ الأولى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ[2]» رويناه في البخاري [٥٧٦٩].

= تزيلها، أو تذهب المؤاخذة بها. وهذا مثل قوله تعالى وعزَّ: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤].

(١) وعظنا: نصحنا وذكّرنا. وجلت: خافت. ذرفت: سال دمعها. مودِّع: مفارق. تأمر عليكم: تولى إمرتكم والحكم فيكم. وهذا من باب ضرب المثل بغير الواقع أو الجائز على طريق الفرض والتقدير، لأنه لا تصح ولاية العبد. سنتي: أي طريقته القويمة التي هو عليها. سنة الخلفاء: طريقتهم وسيرتهم التي انتهجوها وفق ما كان عليه رسول الله ﷺ. الراشدين: المستقيمين على طريق الحق. المهديين: الموفقين لعمل الخير. عضوا عليها بالنواجذ: تمسكوا بها. النواجذ: الأنياب أو الأضراس. محدثات الأمور: الأمور الحادثة التي لم تكن في عصره ﷺ وعصر أصحابه الكرام، مما يخالف الشرع.
البدعة: كل ما أحدث على خلاف ما جاء به الشرع. وفي الحديث أمر بالطاعة واجتماع الكلمة، والتئام الشمل، والمحافظة على ما هو مشروع من الدين، وفيه تحذير من الفُرقة والخلاف، وابتداع ما لم يأذن به الله من المناهج والأحكام.

(٢) إن مما أدرك الناس: أي مما وصل إليهم وظفروا به. من كلام النبوة: أي المتقدمة على نبوة =

١٢٢٣ ـ **السادس والعشرون**: عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيتَ إذا صليتُ المكتوباتِ، وصمتُ رمضان، وأحللتُ الحلال، وحرّمتُ الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة؟ قال: «نَعَمْ»[1] رويناه في مسلم [١٥].

١٢٢٤ ـ **السابع والعشرون**: عن سفيان بن عبد الله [الثقفي] رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بالله ثُمَّ اسْتَقِمْ»[2] رويناه في مسلم [٣٨].

قال العلماء: هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، وهو مطابق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

قال جمهور العلماء رحمهم الله: معنى الآية والحديث: آمِنوا والتزمُوا طاعةَ الله تعالى.

١٢٢٥ ـ **الثامن والعشرون**: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة، وهو مشهور في «صحيح» مسلم [٨] وغيره.

= سيدنا محمد ﷺ. فاصنع ما شئت: وعيد وتهديد لمن ترك الحياء، وهو كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠]. والحياء في اللغة: الحشمة، وانقباض النفس عن القبائح. ويفهم من الحديث: أن الحياء من أشرف الخصال، وأكمل الأحوال. وأنه لم يزل ممدوحاً، ومأموراً به.

(١) رجلاً: قال العلماء: هو النُّعمانُ بن قَوْقَل رضي الله عنه. أرأيت: أخبرني. أحللت الحلال: فعلته معتقداً حلَّه. حرمت الحرام: اجتنبته.
وفي الحديث: دليل على أن التزام الفرائض، واجتناب المحرمات كافٍ لدخول الجنة، أما النوافل فهي لزيادة الأجر، وعلوِّ المنزلة في الجنة. نعم إن قصد بتركها الاستخفاف بها، والرغبة عنها كان ذلك حراماً.

(٢) ولفظه: «قل آمنت بالله، فاستقم».

١٢٢٦ ـ **التاسع والعشرون**: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خَلْف النبيّ ﷺ يوماً فقال: «يا غُلامُ، إني أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سألْتَ فاسأل الله، وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله؛ واعْلَمْ أنَّ الأمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وإنْ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عليْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ» رويناه في الترمذي [٢٥١٦] وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي زيادة: «احْفَظِ الله تَجِدْهُ أمامَكَ، وتعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، واعْلَمْ أنَّ ما أخْطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وما أصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»، وفي آخره: «واعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[1] هذا حديث عظيم الموقع.

١٢٢٧ ـ **الثلاثون**: وبه اختتامُها واختتام الكتاب، فنذكره بإسناد مستظرف ـ ونسأل الله الكريم خاتمة الخير:

---

(١) رواية غير الترمذي أخرجها عبد بن حميد في «المنتخب» (٦٣٦) بسند ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني قال عنه أبو حاتم: ضعيف الحديث، والمثنى بن الصباح ضعفه ابن معين أيضاً.

الغلام: هو الصبي من حين يفطم إلى تسع سنين، وكان عُمرُ ابن عباس عشر سنين إذ ذاك. احفظ الله: احفظ دينه واعمل به. يحفظك: أي في الدنيا والآخرة، إذ الجزاء من جنس العمل، وهذا من أحسن الكلام وأبلغه. تجاهك: أمامك أي بالحفظ والرعاية. رفعت الأقلام وجفت الصحف: كناية عن تمام الأمر والفراغ منه والله سبحانه وتعالى عالم بما كان وبما يكون، قضى ذلك وقدره في قديم أزله، فلا يتغير له علم، ولا يَجِدُّ له جديد، وهذا من بديع الكنايات وأحسنها. الرخاء: اليسر والسعة ضدُّ الشدة.

وهذا الحديث أصل كبير في رعاية حقوق الله تعالى، والتفويض لأمره والتوكل عليه، وعجز الخلق وافتقارهم إليه.

أخبرنا شيخنا الحافظُ أبو البقاء خالدُ بن يوسف النابلسيّ ثم الدمشقي رحمه الله تعالى قال: أخبرنا أبو طالب عبدُ الله، وأبو منصور يونسُ، وأبو القاسم حسين بن هبة الله بن صَصْرَى، وأبو يعلى حمزة، وأبو الطاهر إسماعيل، قالوا: أخبرنا الحافظُ أبو القاسم عليّ بن الحسين: هو ابن عساكر قال: أخبرنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العباس الحسيني خطيبُ دمشق، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن علي بن يحيى بن سلوان، قال: أخبرنا أبو القاسم الفضلُ بن جعفر قال: أخبرنا أبو بكر عبدُ الرحمن بن القاسم بن الفرج الهاشميّ قال: أخبرنا أبو مسهر قال: أخبرنا سعيدُ بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيدَ عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل ﷺ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادي، إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فلا تَظَّالَمُوا. يا عِبادِي إنَّكُمُ الَّذينَ تُخْطِئُون بالَّليْلِ والنَّهارِ، وأنا الَّذي أغْفِرُ الذُّنُوبَ ولا أُبالي، فاستَغْفِروني أغْفِرْ لَكُمْ. يا عبادِي كُلُّكُمْ جائعٌ إلَّا مَن أطْعَمْتُهُ فاستَطْعِمُونِي أُطْعِمُكُمْ؛ يا عبادي كُلُّكُمْ عارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونِي أكْسُكُمْ، يا عِبادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ لَمْ يَنْقَصْ ذلكَ منْ مُلْكِي شَيْئاً. يا عِبادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانُوا على أتقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ مِنْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذلكَ في مُلْكي شيْئاً. يا عِبادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قاموا في صَعِيدٍ واحدٍ فسألُوني فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مِنْهُمْ ما سألَ لَمْ يَنْقُصْ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شيئاً إلَّا كما يَنْقُصُ البَحْرُ أنْ يُغْمَسَ المِخْيَطُ فيهِ غَمْسَةً واحدَةً. يا عِبادِي إنَّما هِيَ أعْمالُكُمْ أحْفَظُها عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيراً فَلْيَحْمَدِ الله عزَّ وجَلَّ، ومَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ».

قال أبو مسهر: قال سعيد بن عبد العزيز: كان أبو إدريس إذا حدّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه، هذا حديث صحيح، رويناه في «صحيح» مسلم[1] [٢٥٧٧] وغيره، ورجال إسناده مني إلى أبي ذرّ رضي الله عنه كلهم دمشقيون، ودخل أبو ذرّ رضي الله عنه دمشق، فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد:

ـ منها صحة إسناده ومَتنه، وعلوّه وتسلسله بالدمشقيين رضي الله عنهم وبارك فيهم.

ـ ومنها ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه والآداب، ولطائف القلوب وغيرها، ولله الحمد.

روينا عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضي عنه قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

---

(١) ما ساقه المصنف يختلف عمّا في «صحيح» مسلم بعض الشيء من تقديم وتأخير ونقص وزيادة، فليراجع.

حرمت الظلم: الظلم لغة وضع الشيء في غير محله، وعرفاً: التصرف في حق الغير بغير حق، أو مجاوزة الحدِّ، وهو بالمعنيين محال في حقه تعالى، والله مقدس ومنزه عن الظلم.

لا أبالي: لا أكترث فالأمر علي يسير. صعيد: مكان من الأرض. المخيط: الإبرة.

هذا حديث عظيم فيه البيان بأن الله واحد أحد تفرد بصفات الكمال، والجلال والجمال، والاستغناء عمّا سواه، لا يلحقه محال، ولا يتعرض ما عنده إلى نقص أو زوال، كل ما عداه مفتقر إليه، ومعتمد بوجوده وصفاته عليه، لا يكون شيء إلا بتقديره وتدبيره، فتقدست أسماؤه، وجلت صفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

خاتمة الكتاب

هذا آخر ما قصدته من هذا الكتاب، وقد منَّ الله الكريم فيه بما هو أهل له من الفوائد النفيسة والدقائق اللطيفة من أنواع العلوم ومهماتها، ومستجدات الحقائق ومطلوباتها. ومن تفسير آيات من القرآن العزيز، وبيان المراد بها، والأحاديث الصحيحة وإيضاح مقاصدها، وبيان نكت من علوم الأسانيد ودقائق الفقه، ومعاملات القلوب وغيرها، والله المحمودُ على ذلك وغيره من نعمه التي لا تحصى، وله المِنَّة أن هداني لذلك، ووفقني لجمعه ويسره عليّ، وأعانني عليه ومنّ عليّ بإتمامه؛ فله الحمد والامتنان والفضل والطَّوْل والشكران.

وأنا راجٍ من فضل الله تعالى دعوة أخٍ صالحٍ أنتفعُ بها تُقَرِّبُني إلى الله الكريم، وانتفاع مسلم راغب في الخير ببعض ما فيه أكون مساعداً له على العمل بمرضاة ربنا.

وأستودع الله الكريم اللَّطيفَ الرحيمَ منِّي ومن والديَّ وجميع أحبابنا وإخواننا ومن أحسن إلينا وسائر المسلمين أديانَنا وأماناتِنا وخواتيمَ أعمالنا، وجميعَ ما أنعم الله تعالى به علينا، وأسأله سبحانه لنا أجمعين سلوكَ سبيل الرشاد، والعصمة من أحوال أهل الزيغ والعناد، والدوام على ذلك وغيره من الخير في ازدياد.

وأتضرّع إليه سبحانه أن يرزقنا التوفيق في الأقوال والأفعال

للصَّواب، والجري على آثار ذوي البصائر والألباب، إنه الكريم الواسع الوهَّاب، وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكلت وإليه متاب، حسبُنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم.

والحمدُ لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلواته وسلامه الأطيبان الأتمان الأكملان على سيِّدنا مُحمّد خيرِ خلقِهِ، كلَّما ذكره الذَّاكِرُون، وغَفَل عن ذِكْرِهِ الغافِلُونَ، وعلى سائِرِ النَّبِيِّينَ وآلِ كُلٍّ وسائِرِ الصَّالحين.

قال جامعه[أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرّي بن حسن بن حسين بن حَمْد النواوي]: عفا الله عنه: فرغت من جمعه في المحرّم سنة سبع وستين، وست مئة، سوى أحرف ألحقتها بعد ذلك، وأجزتُ روايتَه لجميعِ المسلمينَ.

تم تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه في
ضحى يوم الاثنين السابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام
عام عشر وأربع مئة وألف هـ.

والحمد لله أولاً وآخراً وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين
وعلى آله وصحبه أجمعين.
آمين